

مفاهيم القرآن

(603) (أَلَا يَعْزَّمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) . (1) فالله الذي خلق جميع ذرات هذا العالم وركّب أجزائه ولاءم بين مختلفاته ، هو الذي يعلم - علماً تاماً - أسرار ما خلق ، وهو الذي يعلم ما يصلح النفس الإنسانية وما يفسدها ، أحسن من غيره . وهو بعلمه المطلق وإحاطته الواسعة أدرك من غيره بعلاقات الأفراد ، وأبعادها وآثارها ، ويعرف العناصر الصالحة لإقامة مجتمع صالح سعيد ، فهو أدرك من غيره بالقوانين التي تليق بالمجتمع الإنساني وتسعده ، هذا بالنسبة إلى الشرط الأول . *** وأمّا الشرط الثاني ، أعني : تجرّد المشرّع عن أيّ نوع من أنواع الهوى والنفعية ، فلا بد من الاعتراف بأنّه لا أحد هناك يتصف بهذه الصفة غيره سبحانه ، فهو الموجود الوحيد الذي لا نفع له في المجتمع الإنساني ليخشى عليه ويحرص على حفظه وصيانته عند سن القوانين . فهو الذي تنزّه عن الغرائز ، في حين يتصف جميع أبناء البشر بحب الذات - التي تعتبر من أخطر آفات التشريع الصحيح - فهم مشدودون إليها رغم سعيهم للتخلّص من مخالبتها ، ومتأثرون بها مهما حاولوا عدم الخضوع لسلطانها . وقد أشار جان جاك روسو إلى هذه الحقيقة بقوله : لاكتشاف أفضل القوانين المفيدة للشعوب لابد من وجود عقل يرى جميع الشهوات البشرية ، ولكن لا يجد في ذاته ميلاً نحوها ، عقل لا يرتبط بالطبيعة ولا _____ 1 . الملك :